صناعة القاموس المدرسي المأمول بين التأليف والتوظيف

نوال نحاس

دة. ماجدولين النهيبي

كلية علوم التربية- جامعة محمد الخامس

ملخص

يعالج هذا المقال، أهم المعايير والأسس اللغوية والبيداغوجية التي يتعين على القاموسي اعتمادها لصناعة قاموس مدرسي يستجيب لطموحات وحاجيات المرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي، حيث قدمنا اقتراحات وتصورات جديدة لتأليف قواميس مدرسية، وركزنا بالأساس، على الخطوات المنهجية، التي ينبغي للقاموسي أن يتوفر عليها في التأليف، ليلائم كل طور من أطوار التعليم، خاصة في المرحلة الابتدائية بوصفها الأساس للمراحل الأخرى.

ويطرح المقال، أيضا ضرورة الاعتماد على الخبرة الكبيرة التي اعتمدتها القواميس الغربية في صناعة القواميس، بهدف تطوير المنظومة التربوية وتبين مدى مطابقتها للشروط التي ترتهن إليها الصناعة القاموسية، وتوسيع الكفاية اللسانية لدى المتعلم، ومدى استجابتها للحداثة في معناها التربوي والعلمي، من أجل تنمية قدرات المتعلم اللغوية، وترسيخ وجود اللغة العربية، وتكريس مكانتها واستمراريتها وأوجهها على أكثر من مستوى.

الكلمات المفتاحية: القاموس- المدرسة – الكفاية اللسانية - البيداغوجيا

مقدمة

رغم الجهود التي بذلت حول صناعة القواميس المدرسية الحديثة في ظل البحث القاموسي العربي المتواصل، وما وصلت إليه من تقدم سواء في الصيغة الورقية أو الإلكترونية، ومن خلال ما تقدمه المجامع اللغوية ومراكز الأبحاث والدراسات اللغوية والجامعية في العالم العربي، فإن هذه القواميس، للأسف لا ترقى إلى مستوى ما وصلت

إليه التجارب المعجمية الغربية في هذا المجال. حيث ظلت تحكم بقضايا لغوية حديثة بالاستناد إلى استعمالات وأساليب قديمة، مما جعلها بعيدة عن الهدف المنشود منها، فهي في نظر الزاهد، (الزاهد، 2007، ص.17-18)، قاصرة عن مواكبة التطور في جل المجالات الحضارية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتعليمية، وبعيدة عن المناهج المعتمدة في الصناعة القاموسية التي تنهجها أغلب المعاجم اللغوية الأجنبية على الخصوص منها الإنجليزية والإسبانية والفرنسية التي تمكنت من أحدث المناهج العصرية للتأليف المعجمي ومفتقرة إلى العمل في إطار نظريات لسانية تأخذ عنها مناهج التحليل اللغوي، بل لا تتوقف هذه المعاجم أحيانا في الالتزام ببعض ما جاء في مقدمتها من مبادئ كمسألة إدراج المفردات الحديثة والمعاني الجديدة للكلمات، وفي نفس السياق يقول الفهري، (الفهري، 1999، ص. 14)، "ومهما يكن من أمر المعاجم العربية الحديثة، وأمر ما وصل إليه البحث المعجمي العربي، فإنه لم يصل بعد إلى وضع قاموس عام متوسط من مثل la petit Larousse أو لاروس الأطفال أو the shorter oxford English dictionary، في أحجام مختلفة، أو غيرها من معاجم الأمم الأخرى التي يبلور فيها القاموس ثقافة العصر ولغته ويستجيب للأهداف المتوخاة من وضعه، وتتبين أسباب هذه الهوة التي تفصلنا عن غيرنا في هذا المجال حيث تفي بأهداف البحث المعجمي الحديث بقطع النظر عن التقنيات التي يمكن_ بل يجب_ أن تسخر خدمة لهذه الأهداف".

فإذا كان القاموس المدرسي يتطلب عناية خاصة من الباحثين والدارسين في تأليفه وتوظيفه، ليلائم كل طور من أطوار التعليم، خاصة في المرحلة الابتدائية بوصفها الأساس للمراحل الأخرى، فإننا سنحاول في هذه الورقة الحديث عن معايير صناعة القاموس المدرسي، التي تلفت الانتباه وتستدعي الدراسة والتمحيص، لتساهم في تطوير المنظومة التربوية وتبين مدى مطابقتها للشروط التي ترتهن إليها الصناعة القاموسية، من أجل توسيع الكفاية اللسانية لدى المتعلم، ومدى استجابتها للحداثة في معناها التربوي والعلمي، وفق تصور لساني حديث، بالاستناد إلى مجموعة من الدراسات المندرجة في إطار مقاربة توليدية.

نقترح، في الفقرة الأولى، الحديث عن المعايير اللغوية لصناعة القاموس المدرسي كوسيلة، ونركز أساسا عن دواعي البحث فيه، وسنبين في الفقرة الثانية معايير صناعته كمادة ضمن مواد التدريس، ومدى التزامها بخصوصيات الفئات المستهدفة، من خلال طرح اقتراحات وبدائل تهم تحسين مستوى القاموس المدرسي تأليفا وتوظيفا.

1. المعايير والخطوات المتبعة لصناعة القاموس المدرسي

إن عملية إنتاج القواميس المدرسية وحاجة الناشئة إليها، تحتاج إلى نظرية قاموسية تأطرها وفق منهج محدد، وهذه النظرية يمكن ان تستمد من منجزات اللسانيات الحديثة،

وكذلك من خلال الاعتماد على الخبرة الكبيرة التي اعتمدتها القواميس الغربية، في ارتباطها بضرورات العصر، وبناء على اطلاعنا على مجموعة من الدراسات المهتمة بالموضوع من جهة، ومن خلال تجربتنا المتواضعة التي مررننا منها في مراحلنا التعليمية من جهة أخرى، فإننا سنحاول أن نحدد تحديدا دقيقا المعايير والمكونات والمعلومات الأساسية المرتبطة بالمنهج، والتي ينبغي للقاموسي أن يتوفر عليها وذلك من خلال:

1.1. الهدف من إنجاز القاموس المدرسي

تعد عملية إنشاء القواميس عملية حضارية وثقافية، تخضع لمفاهيم وتصورات لا غنى عنها، وتكيف الأدوات التعليمية، فإذا كان التعلم يخضع لمستوى تطور المعارف، فإن القواميس حسب أبو العزم، (أبو العزم، 1997، ص. 237)، هي التي تشكل المرآة الحقيقية لها، وهذا ما يجعلها القاعدة والركيزة الأساسية بامتياز لكل العلوم، هذا بالإضافة إلى المكانة التي تحتلها اللغة العربية، فالإبداع فيها هو ما يجعل الانتماء لها له معنى ويشعر المرء بوجوده وشخصيته، ولعل هذا الشعور هو الذي يقيم حدود اللغات التي ينفتح عليها فيما بعد، وهذا الهدف هو ما يفرض بالضرورة حبك الأداة التعليمية ودراستها وخضوعها لمقاييس بيداغوجية وذلك بإتقان التصرف فيها، وإعادة النظر فيها كلما دعت الضرورة إلى ذلك من خلال الممارسة والتطبيق والتجريب. كما أن جل الدراسات القاموسية تؤكد أن الوظيفة الأساسية للقاموس ترتبط أشد الارتباط بالعملية التعليمية في شتى أوجهها، ومن مقاصدها الأساسية، سد الثغرة التي توجد ما بين المعارف المراد تحصيلها وبين المتعلم، سواء كانت تلك المعارف متعلقة باللغة، أو العلوم، أو الحياة العامة، فوظيفته علمية لها علاقة بحركة المجتمع وبتطور المعارف، لذلك نجد الدول الغربية قد انتبهت منذ الخمسينيات إلى أهمية القاموس في الحياة الدراسية والتعليمية، ولا غرابة أن تصدر وزارة التربية الوطنية الفرنسية قرارا وزاريا تفرض فيه فرضا، ضرورة أن يكون بين أيدي الطلاب وخلال مرحلتهم الدراسية كتاب في نحو اللغة الفرنسية، ومعجم للغة الفرنسية.

وتأسيسا على ما سبق، فإن أهم الغايات التي يحققها القاموس المدرسي يمكن إجمالها في: ذكر المعنى وذلك، من خلال مساعدة المتعلم الوقوف على معاني وشرح الكلمات والمفردات الغامضة أو الغريبة ضمن السياق، والتي توضح المعنى من غير تطويل، ليتحقق عند المتعلم المعنى اللغوي والمعنى الوظيفي والمعنى الاجتماعي، وتمكينه من الكشف عن القواعد الصرفية والتركيبية والصوتية للكلمات العربية بطريقة نسقية منتظمة، وملائمة لسنه ومستواه الدراسي، وتمكينه من معلومات وتواريخ وأسماء المواضيع المدرسية التي تنمي فضاءه المعرفي، كما تعمل على تنمية الإنتاجية اللغوية ومناهج البحث وآلياته، وتنمية التعلم الذاتي لديه، واطلاعه على الجوانب الثقافية والمعرفية، وتحفيزه على ذلك من أجل قراءة المتن التعليمي وفهمه ضمن حيثيات المقام والمقال والتفاعل معه والانفعال به،

وتنمية ملكة النقد لديه انطلاقا من البحث الذاتي في القاموس المدرسي لبناء شخصيته في مناحيها، المعرفية، والنفسية، والحركية، والحسية، والاجتماعية، وحصر المتن التعليمي في حدود السياقات الواردة فيه والحيثيات المتضمنة في المتن، وربطه بالمجال التعليمي وسياق الفعل التعلّمي، من أجل تشكيل المعيار اللساني واللغة الفوق فردية والمظهر الموحد للغة المتعلم.(بريسول وبنعمر، 2007، ص. 179-180).

يتضح من خلال ما سبق، أن للقاموس المدرسي وظائف تربوية، وتعليمية، وحضارية، يهدف من خلالها إلى تنمية قدرات المتعلم اللغوية، ويرسخ وجود اللغة العربية، ويكرس مكانتها واستمراريتها وأوجهها على أكثر من مستوى.

2.1. تحديد الفئة المستهدفة في القاموس المدرسي

إن الحديث عن القاموس المدرسي يتطلب الحديث عن الفئة العمرية التي يستهدفها القاموس، لذلك فمن الازم على أي معجمي أن يكون على دراية تامة عن الفئة التي يريد أن يبحثها ويتعمق فيها سواء فيما يتعلق بالسن والظروف المحيطة بها، أو السمات المحددة لها، وذلك من خلال تبني طرق ومناهج علمية تراعي فهم قدرات وإمكانيات الطفل ورغباته وإحساسه، وأيضا توفير الشروط الضرورية التي تجعله مرتاحا في البيت والمدرسة والشارع، ولعل هذه الأمور هي التي سنتحدث عنها في الفقرة الثانية من هذه الورقة.

3.1. جمع المادة اللغوية ومصادرها

يقصد بها تحديد الطريقة الناجحة في جمع المادة اللغوية، باعتبارها مكونا أساسيا لبناء قاموس لغوي تعليمي، وذلك بالاعتماد على تنويع وتوسيع لائحة المصادر المنتقاة، دون الاكتفاء بالنقل عن القواميس السابقة، كما هو حال القواميس الحديثة الموجودة سلفا، بل يجب الاعتماد على مسح الكتب والمجلات والصحف وقصص الأطفال، والرسوم المتحركة والمسرحيات ومختلف العلوم، حتى يشمل القاموس بنيات ودلالات وأساليب متنوعة تمكن المتعلم من الفهم والتعبير بكيفية سليمة وبلغة مستخدمة في الآداب والصحافة والتأليف العلمي، مع ضرورة التركيز على وصف الحالة الراهنة للغة، وصفا انتقاليا للغة وملائما لتعلم النسق، فيجب أن تكون ذات طابع سانكروني، ومواكبة للقواميس والنصوص المختارة للتطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي المحيط بالمتعلم، لأن تكوين المتن اللغوي يجب أن توجهه حركية النسق اللغوي، الذي يتنج كلمات واستعمالات جديدة تطبعها روح العصر، (الخلوفي،2007، ص. 170-171)، لأن اعتماد هذه الخصائص في صناعة القاموس أصبحت ضرورة خاصة عند المتعلم.

4.1. قضية الترتيب والتعريف في صناعة القاموس المدرسي

إن المادة اللغوية التي يجب أن نعتمدها في صناعة قاموس مدرسي، ينبغي أن تخضع لترتيب محكم في شكل مداخل ووفق منهج صارم ودقيق، لذلك، فإن حاجة المرحلة الابتدائية تستدعي منهج يعتمد الترتيب الألفبائي نظرا لسهولته ووضوحه عند المتعلم، وباعتباره الوسيلة السائدة في تسجيل المفردات في التقليد القاموسي الغربي، كما أن مسألة التعريف وتحديد مناهجه وقضاياه تحتل مرتبة مهمة في مسيرة العمل القاموسي، وتمثل أكبر صعوبة يواجهها صانع القاموس، وذلك لصعوبة تحديد وسرعة تغيره وتطوره، لأن من واجب القاموسي أن يقدم تعريف الكلمة بكيفية تسهل على المتعلم إدراكها، وتكون قريبة من لغته اليومية ومن استعماله الفعلي للغة، كما يتعين على القاموسي شرح المداخل وتعريفها وترتيب المعلومات والدلالات وما يتعلق بها، وفق رؤية معاصرة تبين الدلالات المختلفة للكلمة الواحدة مع بيان مستوى استخدامها، كما لا يخفى عليه الاستفادة من التجارب الغربية الناجحة في هذا المجال وتطبيقه على واقعه. إذ من خلاله نصل إلى توضيح المضمون الدلالي لكل كلمة أو عبارة واردة في المدخل، التي تندرج تحتها قضايا قاموسية أخرى.

5.1. الأمثلة والشواهد والصور الإيضاحية في القاموس المدرسي

من حيث الأمثلة والشواهد ينبغي أن تكون موجزة لبيان الدلالات واستعمالاتها المتطورة التي تتماشى مع لغة العصر بطريقة سهلة وسليمة، لكي لا ينصرف المتعلم عن الهدف الأساسي، ولا يشكل صعوبة لغوية لديه ويبعده عن محيطه وعن أجواء حياته العملية، ولا عن مستواه العقلي والمعرفي، أما من حيث الصور والرسوم الإيضاحية فإنها تقوم بإيضاح معنى المفردة بشكل واضح، وينبغي لهذه الصور أن تكون خالية من التشويه أو التحريف، وأن تكون بسيطة في مكوناتها وعناصرها، لأن الغاية من الصورة ليس في ذاتها، بل من حيث ما تقدمه من أدوار تعليمية تعلّمية، فهي كفيلة بتطوير كافة عناصر العملية التعليمية، وجعلها أكثر فاعلية لتجعل المتعلم أكثر استعدادا لتقبل المادة المعرفية، فيدرك الألفاظ التي يراها من خلال الصورة إدراكا أوضح وأفضل مما لو قرأها أو سمعها، كما أنها تهدف إلى تحقيق المتعة لديه عن طريق مده بمئات الصور الجميلة التي تشوقه وتنمي خياله، ويضيف عبد الغني أبو العزم في هذا الصدد" أن الصورة في المعجم تشكل المدخل الرئيس لعالم الكلمات مع التأكيد على متعتها، فإن الطفل لا يفرق بين الكلمة والشيء، إلا أنه يملك رغبة ملحة للتعبير عما يراه، حيث يسعى إلى تكوين الكلمات، وهذه الرغبة يسايرها تركيب المعجم، ويحاول إشباعها بواسطة الصورة، (أبو العزم، مرجع سابق ص. 278)، لأن الهدف الذي نريده للقاموس ليس تقوية النشاط اللغوي لذاته، بل

للارتباط بمختلف العلوم والأنشطة، لأن لها أثر في تقريب المعارف إلى الأذهان وتجسيدها، وربط الألفاظ بمدلولاتها الحقيقية وترسيخها في ذهن المتعلم.

6.1. المعلومات الكتابية والصوتية

تعد قضية كتابة الكلمة والنطق بها داخل القاموس المدرسي من أهم الأسس التي يعتمدها القاموسي، نظرا لكون المتعلم معرض للوقوع في اللحن والالتباس، مما يعرضه لقراءة الكلمة قراءة غير صحيحة، ومن تم، كان لتحديد وضبط الكلمات إملائيا وصوتيا وإلحاق المادة مباشرة بتمثيل صوتي يرمز إلى كيفية نطق الكلمة على النحو المقبول عند الناشئة برموز مبسطة وواحدة، كتابة متفق عليها عالميا، كما هو الحال في القواميس الغربية الحديثة، مع مراعاة أهمية توحيد قواعد الإملاء داخل المنطقة اللغوية، أهمية بالغة في إنتاج القاموس، وفي هذا الصدد يقول، (Hartmann 1983, P. 13)، "هو فن من فنون تحويل الكلام إلى الشكل الكتابي لا عن طريق الهجاء العادي، ولكن عن طريق التمثيل له".

7.1. المعلومات الصرفية والنحوية

يعد هذا العنصر من أهم المستويات اللغوية التي تقدم في القاموس، لكونها ترتبط بالطبيعة العملية والتعليمية عند المتعلم، بحيث تساعده على فهم المعنى، وهذا ما يأكده حسان، (حسان، 1994، ص.327)، "ومما ينبغي للمعجم أن يقدمه للقارئ تحديد المبنى الصرفي للكلمة، كما إذا كانت الكلمة إسما أو فعلا أو غير ذلك، فتقديم هذا التحديد الصرفي للكلمة يعتبر الخطوة الضرورية في طريقة الشرح"، وبناء عليه فإن القاموسي ينبغي أن يكون على دراية واسعة بالمستوى الصرفي للكلمة من حيث أوزانها وكل ما يتعلق بهذا الجانب، وملما بالمستوى النحوي للكلمة من حيث إعرابها لأن ذلك كله يساعده على إنتاج قاموس مدرسي يرقى لتطلعات المرحلة الابتدائية.

8.1. المعلومات الدلالية

يعتبر هذا العنصر من الأولويات التي يجب على القاموسي أن يهتم بها اهتماما كبيرا، خاصة إذا تعلق الأمر بالمستوى الابتدائي من التعليم الأساسي، نظرا لكون هاته الفئة بحاجة إلى التوضيح وتقديم دلالات الكلمة بصورة تسهل على المتعلم إدراكها بسرعة وبدون تكلف، ومن تم فإن عمل القاموسي حسب هارتمان (هارتمان، 1983، ص 7-25)، في هاته المرحلة شاق لأنه يستوجب منه إبراز مميزات الكلمة وخصائصها المختلفة، وترتيب معانيها ترتيبا منطقيا يراعى فيه البدء بالمعنى الرئيسي تم بعد ذلك ذكر المعاني المتقاربة له واستشفاف الجزء المناسب من التعريف، وربط المعنى المناسب بالسياق المطروح، ومحاولة إعادة صياغة معنى الكلمة بإدماجها في النص الأصلي من أجل تبسيط المعنى للمتعلم.

9.1. المعلومات الموسوعية

إن فكرة إدخال المعلومات الموسوعية في القواميس المدرسية من أهم المعايير التي ينبغي على القاموسي أن يهتم بها، وذلك لما لها من أهمية كبيرة بالنسبة للمتعلم. لأن مهمة القاموس لا تنحصر في حدود توضيح معاني الكلمات، بل تتعداه لفتح آفاق الثقافة العامة، فهي مفتاح العصر لارتياد فضاء المعرفة، وأساس تنمية وتكوين شخصية الناشئة بغية التواصل والاتصال بشكل آمن، ومصدرا لإرشاد المتعلم ومساعدته في اكتساب معلومات ثقافية إضافية عن عالمه الخارجي؛ كالتعرف على بعض الأعلام أو المدن أو المناطق الأثرية وغيرها.

وعليه، فإن ما يساعد القاموسي على تحقيق ما يصبو إليه في هذا العنصر اختيار المعلومات الثقافية من الاستعمال الآني للغة مع تعزيز ذلك بصور تسهل على المتعلم فهمها وفق طرق منهجية حديثة.

2. المعايير البيداغوجية وعلاقتها بالقاموس المدرسي

بعد أن تمكنا في الفقرة السابقة من إبراز أهم المعايير والأسس اللغوية التي يتعين على القاموسي اعتمادها لصناعة قاموس مدرسي يستجيب لطموحات وحاجيات المرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي، أصبحت الحاجة ملحة للوقوف على الجانب البيداغوجي وعلاقته بالقاموس، بحيث نلاحظ أن الواقع التعليمي بالمغرب يعاني من صعوبات وعوائق، من بينها كون عدد لا يستهان به من المتعلمين قد غفلوا عن الجانب البيداغوجي مما أثر سلبا على مستواهم الدراسي، بل إننا نسجل إغفالا واضحا لقيمة القاموس التعليمية التعلّمية حتى لدى بعض المدرسين على الرغم من أدواره المهمة ووظائفه المتعددة في ارتباطه بكل مكونات الفعل التربوي. ولعل السبب في ذلك حسب المعتوق، (المعتوق 1996، ص. 10)، يكمن في ضعف المهارات والكفاءات في نقلها وتعليمها للناشئة، وعدم الاهتمام بتصوير هذه المهارات ومواكبتها للمناهج الحديثة وملائمتها لمعطيات العصر، مع ما تواجهه من ظروف وما يعيشه أهلها من أوضاع، مما يقتضي بذل كثير من الجهد من طرف المهتمين بهذا المجال خصوصا إذا تعلق الأمر بما عسى أن يكون قضية تعليمية تعلّمية.

1.2. الآليات البيداغوجية لتدريس القاموس المدرسي كمادة تعليمية

إن مقاربة موضوع القاموس المدرسي كمادة تعليمية تعد أحد مكونات العملية التعليمية، فهي تحتاج إلى باحثين متخصصين يقومون بدراسات دقيقة في تحديد المادة العلمية المدرسة للفئة المستهدفة في مجال الدراسة، خاصة من الناحية البيداغوجية التي يتعين على القاموسي مراعاتها، فقضية غياب القاموس المدرسي، ككتاب مقرر، مثله مثل

الكتب الأخرى، ككتاب اللغة العربية، وكتاب التربية الإسلامية، وكتاب الجغرافيا والتاريخ وغيرها، غير وارد في مناهجنا التعليمية مع أن فكرة إدراج المادة القاموسية هو الأصل في المناهج التعليمية الغربية مثلما توجد بفرنسا وألمانيا وغيرها، لأن جميع المواد الدراسية لها علاقة وطيدة بالقاموس، وهي في أمس الحاجة إليه؛ حيث لا يمكن الاستغناء عنه عند قراءة النصوص سواء كانت أدبية أم تاريخية أم علمية أم دينية وغيرها، لأن أفضل وسيلة لاستعمال المادة التعليمية استعمالا فعليا تكمن في ضرورة التوفر على معرفة قاموسية واسعة، بحيث يجب جرد كلمات الكتب المدرسية التي تدرّس في المدارس الابتدائية وتضمينها للقاموس المدرسي من أجل استجلاء كل ما غمض منها، وإغناء رصيده القاموسي وسد حاجاته في التعبير عن الحياة العصرية المحيطة به، مما يجعل القاموس المدرسي يستجيب لواقع اللغة العربية وتطورها وفق تصور ثقافي تعليمي واضح، تبعا لما تستدعيه مختلف المواد الدراسية المقررة عند المتعلم وثقافته اليومية.

وفي نفس السياق تقول، (Sandrine reboul Touré, P. 5-6)، أن الانفتاح على النصوص الأساسية في المقررات الدراسية والاحتكاك بها يشكل مكانة هامة جدا في تعلم مفردات معجم اللغة، وخاصة عندما نصادف مواضيع متنوعة ومختلفة، تتماشى مع مضامين الدروس والحقول المعرفية المتعددة والمختلفة للغة، وفق تطور الفعل التعليمي البيداغوجي والمعرفي اللغوي بحسب مبادئ قاموسية تربوية مضبوطة تمكن من وضع قاموس مدرسي شامل قادر على بلورة وتطوير عملية اكتساب المعرفة للمتعلم.

2.2. الآليات البيداغوجية المعتمدة لتدريس القاموس المدرسي عند المعلم

لا شك أن تعليم الناشئة تعليما يقوم على تقويم اللسان وفقه اللغة العربية، حسب العماري، (العماري، 2009، ص. 18)، يتوقف أساسا على التدبير الناجح من طرف المعلم، والمشاركة النشيطة للمتعلم في التواصل التفاعلي داخل الفصل الدراسي، ولعل أول إجراء ينبغي أن يقوم به المعلم المؤطر هو القضاء على النفور الذي يوجد بين المتعلم والقاموس، حيث لا يخفى علينا أن عددا كبيرا من الأساتذة لا يتعاملون بحماس مع القاموس، بحيث نجدهم لا يتقنون اللغة العربية خاصة في جانبها اللغوي، بل إن منهم من لا يحفظ الأبجدية العربية، مما يؤثر سلبا على الناشئة في التحصيل العلمي، لذلك فإن المعلم إذا نجح في حل هذا المشكل، واستطاع تحبيب القاموس للمتعلم فإن هذا الأخير سيكتشف وسيلة فعالة لتعلم اللغة العربية وتنمية قدراته التعبيرية والتواصلية، ويضيف بلهادي، (بلهادي، 2015 ، ص. 19)، في نفس الإطار، أنه ينبغي على المعلم إرساء علاقات التعاون وتعزيزها والحفاظ عليها مع المتعلمين والإدارة على حد سواء، وخلق مناخ يساعد على ممارسة المتعلمين لمختلف الكفايات ومهاراتهم التشاركية والعقلية والفكرية كما يتعين عليه أن يكون قادرا على تحفيز وتشجيع التلاميذ لأن ذلك يساهم في خلق مناخ داخل الفصل الدراسي متحرر من التوتر، وبالتالي إرساء علاقة الاحترام المتبادل والتعاون والثقة في باب تحصيل المادة

القاموسية، ولا يتأتى ذلك للمعلم إلا إذا كانت له ثقافة رصينة لا يستهان بها في البحث والتنقيب داخل القواميس كلما دعت الضرورة لذلك، كما يتعين عليه أن يكون على إطلاع واسع ومنفتح على عدة مجالات في العلوم الإنسانية كعلم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، لأن مهارات استعمال القاموس المدرسي تستدعي معلما ذا كفايات تعليمية ولغوية، وقدرات مهنية وفكر تربوي، وطرق لغوية إيجابية تلبي حاجيات العصر ومتطلباته، لأنه بالنظر إلى الواقع التعليمي في مرحلته الابتدائية ببلادنا، نلحظ أن أغلب الأنشطة التربوية والتعليمية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ تتجه في طريق يتعارض مع نمو التفكير الابتكاري الإبداعي للمتعلم، إضافة إلى أن أغلب الممارسين التربويين لا يدركون القوانين الأساسية للتربية الإبداعية تجاه القاموس التربوي، فيقتصر عمل الكثير منهم على تزويد الأطفال بالمعلومات من خلال الحفظ والاستظهار، والاعتماد على الذاكرة وحدها، وهذا القصور الكبير في تعليم طريقة التفكير الصحيحة لا يمكنه إعداد المتعلم المستنير والمبتكر للحلول، لذلك فإننا بأمس الحاجة إلى وجود المعلم المبدع الذي يعمل على تعليم وتعلم المنهجية لتلقين القاموس للمتعلم، وذلك بإطلاق العنان لخيالات المتعلم وطاقاته الإبداعية.

3.2. الآليات البيداغوجية لتدريس القاموس المدرسي للمتعلم

لا شك أن القاموس يعد من أهم الوسائل الفعّالة التي تساهم في بناء شخصية المتعلم من جميع النواحي المعرفية والوجدانية، فهي من جهة تقوي رصيده المعرفي حيث تساعده على فهم النصوص، وذلك بشرح الكلمات سواء التي يعرفها معرفة أولية أو التي يصبو إلى معرفة دلالتها ومعانيها المختلفة، أو بيان كيفية نطقها أو كيفية كتابتها، أو تحديد وظيفتها الصرفية، من أجل سبر أغوار اللغة، ليتمكن المتعلم من معرفة كثير من أسرارها كالاشتقاق والتوليد والمترادف والمشترك والتضاد، وهي ظواهر يصادفها في استعمالاته المتنوعة للمفردة الواحدة، وتساعده على قراءة النصوص قراءة حقيقية ذات مدلول واضح، حيث يتمثل القارئ معنى النص ويتفاعل معه، وتدفعه من جهة أخرى إلى التعامل مباشرة مع المعرفة، فيبحث التلميذ بنفسه وينتقد، ويتحرك ويحرك وينفي ويؤكد وهذا هو مقصود التربية الحديثة. فمقدار ما يمكن أن يتعلمه التلميذ من مفردات القاموس يعتمد بصورة أساسية في نظر أحمد محمد المعتوق على مدى توافر هذه المعاجم وتنوع المتوافر منها، وعلى طرق إخراجها وتصنيف المفردات فيها من جانب، ثم على معرفة الفرد بطرق استخدامها وما يتأتى له من بواعث أو دوافع لهذا الاستخدام من جانب آخر، ولذلك فإن تعليم اللغة للناشئة وتهيئته لاكتساب حصيلة وافية من مفرداتها يقتضيان توفير المعاجم اللغوية المناسبة له، المتلائمة في أحجامها وأشكالها وأنواعها مع مستواه العقلي والعلمي وتوفيرها في المدرسة والفصل والبيت وفي المكتبات العامة والخاصة التي يمكن أن

يرتادها، ثم نعرّفه على مناهج هذه المعاجم وعلى طرق استخدامها وحثه المتواصل على الرجوع إليها منذ المراحل الأولى من تعليمه. (المعتوق، 1996، ص. 317).

وبناء عليه، فإن الاهتمام المتزايد بالمتعلم وميولاته وانشغالاته ودوره المركزي في العملية التعليمية التعلّمية، يؤدي إلى الوعي المتزايد بأهمية دراسة العوامل المرتبطة بفضاء الفصل الدراسي، ومنها طبيعة العلاقات التربوية والبيداغوجية السائدة داخل هذا الفضاء، ومدى تأثيرها على أداء المتعلم وتعلمه وتحصيله الدراسي ونجاحه المدرسي وتطور شخصيته، وفي هذا الإطار يؤكد الباحثون في مجال التربية والتكوين، أنه بالرغم من التأثير القوي الذي يمارسه المحيط الاجتماعي والانتماءات السوسيوثقافية والتربوية على المتعلم في تشكيل تمثلاته وتصوراته وتطويرها باعتبار فضاء القسم والمدرسة امتدادا للمجتمع، فإن العديد من المواقف وردود الأفعال والتصورات والقيم التي تنشأ وتتطور لدى التلميذ، لها أهمية كبرى في تشكل شخصيته وفي التأثير سلبا أو إيجابا على تعلمه، مما يدل على تفاعل وتداخل العديد من المتغيرات والعوامل المتعلقة أساسا بنوعية العلاقات التربوية والبيداغوجية والتواصلية التي تتجسد في طبيعة نظم التواصل والتدبير والتنظيم وكذا مجموع الممارسات والأفعال والأنشطة التربوية والبيداغوجية القائمة داخل فضاء الفصل الدراسي، وهذا ما أكده إسماعيلي علوي، (علوي، 2009، ص. 24-25)، في قوله" إن الكفاءة التواصلية في حدودها التداولية تعني امتلاك نوعيين من المعارف: النوع الأول معارف متعلقة بواقع التجربة الإنسانية وهي معارف سابقة يكتسبها الفرد عبر تجربته الفردية، أو يستفيدها من مكتسبات التجربة الجماعية إنها تمثل زادا معرفيا يتناما باستمرار ما دام الوجود والتأمل والتفكير. أما النوع الثاني فيتعلق بمعارف متعلقة بواقع حال وملابسات الحدث التواصلي، وهذه معارف موازية يكتسبها الفرد لتوّ التواصل، وتتمثل فيما يؤخذ عن انطباعاتنا حول محيطنا التواصلي، ومن تأثير محيطنا هذا فينا بأشيائه ومواقعها وبشخوصه وسلوكاتها وبأزمنة وقائعه وأمكنتها."

وبالنظر إلى الواقع التعليمي الذي نعيشه، نرى أنه ما زال يعاني من اعتماد المقاربات التقليدية في البنية التعليمية التي تتميز عموما بالتحكم المطلق للأستاذ في فضاء الفصل الدراسي، وتكريس الدور السلبي للتلميذ عبر نظم تواصلية وتنظيمية وتدبيرية مغلقة، مما يتطلب في نظر القرفة، (القرفة، 2014، ص. 109-110)، تبني مقاربة تربوية وبيداغوجية منفتحة تتأسس على مبادئ التربية على المواطنة والقيادة التشاركية والتربية المدنية التي تدل على مجموع الأفعال والممارسات التي تعترف بالمتعلم الفرد المواطن والإنسان في جميع جوانب الحياة العملية التعليمية التعلّمية بغية تحقيق الهدف الأسمى، وهو خلق الفرد المواطن المسؤول المستقل والمبادر القادر على اتخاذ القرار بنفسه ولنفسه، هذه التربية تشمل مضمون الدروس، مناخ الفصل الدراسي، نظم التواصل والتدبير داخل القسم وجودة التعلم والتحصيل الدراسي للتلاميذ، أما حسب بريسول أحمد، (بريسول، 2007،

ص. 82-83)، فيؤكد على ضرورة مراعاة الاختلاف الحاصل بين المتعلمين وبين قدراتهم الشخصية واتجاهاتهم وميولاتهم المتنوعة، ومن مكتسباتهم الخاصة وتجاربهم وخبرتهم فضلا عن منطلقاتهم الفكرية ومؤهلاتهم العلمية وإيقاعاتهم التعلّمية إزاء تعدد ذكاءاتهم وفوارقهم المعرفية والسيكولوجية والاجتماعية والثقافية.

خاتمة

اقترحنا، في هذه الورقة، رصد بعض المعايير اللغوية والبيداغوجية التي يتعين على القاموسي اتباعها في التأليف، ولتشخيص هذه المعايير قدمنا اقتراحات وتصورات جديدة لتأليف قواميس مدرسية، وركزنا بالأساس، على الخطوات المنهجية، وقد حاولنا من خلالها اقتراح تحديد الغاية من صناعة القاموس المدرسي، وبينا أن له غايات تربوية، وتعليمية، وحضارية، يهدف من خلالها لتنمية قدرات المتعلم اللغوية، ويرسخ وجود اللغة العربية، ويكرس مكانتها واستمراريتها وأوجهها على أكثر من مستوى، كما اقترحنا تحديد الفئة العمرية المستهدفة، وركزنا بالأساس على المستوى الابتدائي، باعتباره العمود الفقري لكل مستوي من المستويات التعليمية الأخرى، مشيرين إلى المستويات اللغوية التي يتعين على القاموسي مراعاتها بما فيها الإملائية والصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والموسوعية، التي تساعد في إثراء حصيلة المتعلم اللغوية وتنوع مستوياتها، وتسهل عليه فهم معاني الجمل والعبارات التي تصاغ منها، وتوسّع من مدى فهمه للآخرين والتواصل معهم والانفتاح على عالمه الخارجي.

واقترحنا في نقطة ثانية، الحديث عن المعايير البيداغوجية وعلاقتها بالقاموس المدرسي، وركزنا على ادراج القاموس المدرسي كمادة ضمن مواد التدريس منذ المرحلة الابتدائية كما هو الشأن في المدارس الأوروبية، وبينا أهميته في العملية التعليمية التعلّمية، وأبرزنا الآليات البيداغوجية التي يتعين على المعلم مراعاتها في تدريس القاموس المدرسي، وكيفية تلقينه للمتعلم، وناقشنا أيضا الآليات البيداغوجية لتدريس مادة القاموس المدرسي للمتعلم ودورها في بناء قدرته المعجمية واللغوية ومدى استجابتها لمتطلباته المعرفية بشكل يمكنه من اكتساب البناء الذاتي وتحقيق الفعل التعليمي التعلّمي.

بيبليوغرافيا

- أبو العزم، عبد الغني.(1997). المعجم المدرسي، مناهجه وأسسه وتوجهاته، وليلي للطباعة والنشر، الرباط.
- اسماعيلي، علوي عبد السلام. (2009). دور المعجم في تقويم الكفاءة التواصلية، أعمال اليوم الدراسي: دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلمها، جامعة مولاي اسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة ندوات، العدد 24.

- بريسول، أحمد، (2007)، عبد الرزاق ترابي، اللغة والتواصل، منشورات معهد الدراسات والأبحات للتعريب. جامعة محمد الخامس. السويسي. الرباط.
- بلهادي، محمد.(2015). نحو تربية ابداعية في منظومتها التعليمية، مجلة علوم التربية، العدد، 62.
- تمام، حسان.(1994). اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء.
- الخلوفي، فاطمة .(2007). المعجم العربي العصري واشكالاته، معجم الوجيز، منشورات معهد الدراسات والأبحات للتعريب، جامعة محمد الخامس، السويسي. الرباط.
- الزاهد، سمية ، (2007)، المعجم العربي العصري وإشكالاته، دراسة تحليلية للمعجم العربي المعاصر، المنجد في اللغة العربية المعاصرة نموذجا، منشورات معهد الدراسات والأبحات للتعريب. جامعة محمد الخامس، السويسي، الرباط.
- العماري، عبد العزيز.(2009). مكانة الرصيد المعجمي في تنمية القدرات التعبيرية والتواصلية، أعمال اليوم الدراسي، دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلمها، سلسلة ندوات، 24.
- الفاسي الفهري، عبد القادر.(1999). المعجم العربي، نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء.
- القرفة، عبد الرحيم .(2014). من أجل تواصل مفتوح داخل الفصل الدراسي، أبحاث في اللغة والتواصل، منشورات شعبة الآداب واللغات والتواصل، الإصدار 1.
- المعتوق، محمد أحمد .(1996). الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 212، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- Hartmann, R.R.K. (1983), Lexicography. Principles and practice. Academic pess, London.
- Touré-Sandrine reboul, l'enseignement du lexique au collège, www.ofef.org.